التقارب والنفرة لقوى المنطقة على خلفية الاتفاق النووي الإيراني

أ. م. د. فايق حسن جاسم*
باحث وأكاديمي من العراق

* كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد

مقدمة

إنّ بحث التقارب والنفرة يحتاج إلى تحديد القوى الأساسية في المنطقة المعنية بالاتفاق النووي، إذ تعرف القوى الأساسية بأنها البلدان التي تستطيع التأثير في توازنات المنطقة وهي: تركيا، إسرائيل، دول الخليج العربية بقيادة السعودية، العراق، ومتزامنة الوجود الأمريكي في المنطقة. التي أخذت على عاتقها دور الدولة الضامن للأمن في منطقة الخليج بدلاً من بريطانيا في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وحاولت أن تحافظ على استقرار المنطقة بالمحافظة على توازن تقريبي في القوة العسكرية بين أقوى دولتين في الخليج وهما العراق وإيران، فضلاً عن مجموعة أخرى من السياسات المساعدة لتحقيق أهدافها.

وفي الثمانينات وحينما قامت الحرب العراقية ـ الإيرانية (1980 ـ 1988)، كان التوازن بين الطرفين قد بقي قائماً نوعاً ما، إلا أن التحولات الدولية والإقليمية التي شهدها عقد التسعينات من حرب الخليج الثانية وتفكك الاتحاد السوفيتي1991 أدت إلى اختلال ميزان القوى في الخليج العربي لصالح إيران، فلقد استطاعت إيران استغلال حالة الفوضى التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي وذلك بتطوير قدراتها العسكرية التقليدية وبخاصة الصاروخية. واختلفت أطراف التوازن بعد خروج العراق من معادلة التوازن الإقليمي لتبرز تركيا كعضو فاعل في معادلة التوازن الإقليمي، التي لم تعد خليجية وإنماأصبحت شرق أوسطية. إذ إن تركيا وإيران هما طرفا التفاعل

في معادلة إقليمية يحفزهما عامل مساعد على التفاعل وهو إسرائيل، والتحفيز هنا يقترن بنوع العامل،إذ تدفع إسرائيل باتجاه نمط تفاعل يميل للنفرة بين تركيا وإيران أكثر منه للتقارب.

وحتى تكون المعادلة أكثر تعقيد تم إيجاد عامل مساعد آخر يحفز على التفاعل، وهو قوى التطرف التي ولد من رحمها داعش، ليقسم المعادلة بشكل أكثر حدية بين طرفين أحدهما يرفض وجود داعش والآخر يقر بوجوده كقوة للتغير في المنطقة، دون أن يرد ذكر إسرائيل في ما ستشهده المنطقة من موجة تغير لأنها واحة للديمقراطية ودولة السلام، التي لم تبادر ولو بإطلاق تصريح واحد على أحداث أخذت طابع العنف التدميري على حدودها من قوى متطرفة تحاول إلباس نفسها ثوب الإسلام.

تدفع إسرائيل باتجاه نمط تفاعل يميل للنفرة بين تركيا وإيران أكثر منه للتقارب

وهذا ما يثير التساؤل إن إسرائيل لا تخشى داعش على حدودها في سوريا، لكنها تخشى تطور القدرات النووية لإيران التي تفصل بينها وبينه اثنتان من الدول هما العراق وسوريا اللتان تحاربان على أرضهما داعش، فما هو سبب الخوف وما هي مدعاته؟ أليس الادعاء إلى الخوف هو داعش التنظيم غير الخاضع لسلطة دولية وغير مرتبط بمواثيق دولية يحترمها كإيران، وإن كان هناك أمر دائم يسجل على إيران أنها متقلبة بين الإيديولوجية والدين ومع الإنجاز الذي ارتبط بالملف النووي، فإن نواياها تزداد تعقيداً، وهذا الأمر يمنح إيران القدرة على وضع خططاً وأهدافاً طموحة، وهذا ماتفعله إيران خاصة على صعيد مواجهة داعش التي أثبتت قدرتها على الحد من نفوذها وهذا ما تراه الولايات المتحدة أيضاً.

أم إن ما تخشاه إسرائيل النتائج الجيوسياسية للبرنامج النووي الإيراني في المنطقة، وحتى نستطيع الوقوف على هذه النتائج نحتاج تحليلها وفق ما توصلت إليه إيران من اتفاق مع مجموعة الخمسة زائد واحد.

أولاً: الاتفاق النووي فرص بناء القدرة وإعادة تعريف الدور

يستلزم فهم التفكير الاستراتيجي الإيراني في جانب مهم منه دراسة الجوار الإيراني. حيث تحيط إيران قوى خارجية ذات قدرات قوية وتشمل هذه

القوى الوجود العسكري الأمريكي في الخليج وباكستان بما تمتلكه من أسئلة نووية وتركيا التي تمتلك أكثر القدرات العسكرية التقليدية تطوراً في المنطقة، والعراق يصارع التنظيمات المتطرفة ودول مجلس التعاون تحس بالضعف بشكل مفرد لكنها قوية إذا اجتمعت مع ما تمتلكه من قدرات مالية وأنظمة تسليح متقدمة والدليل موقفها في اليمن، وروسيا التي تعد من اكبر القدرات العسكرية في العالم. وفق هذه المعطيات ستحمل إيران على التفكير بشكل دفاعي بقدر الأسباب التي ستحملها على التفكير بشكل هجومي غير أن إيران لديها ميزة سياسية مهمة جداً وهي أنها «تفعل ما ينبغي أن تفعله عندما ينبغي عليها ذلك»، وهذه الميزة تجعل منها قدرة ذات أثر استراتيجي في المنطقة. وهذا يقودنا إلى البحث في عناصر القدرة الإيرانية.

أن إيران لديها ميزة سياسية مهمة جداً وهي أنها «تفعل ما ينبغي أن تفعله عندما ينبغي عليها ذلك»، وهذه الميزة تجعل منها قدرة ذات أثر استراتيجي في المنطقة

الدولة الناجحة هي الدولة التي توظف عناصر القوة لتحولها إلى قدرات، وهذا ما تسعيله إيران التي تنقسم قدراتها إلى نوعين أساسيين:

1 ـ القدرات التقليدية: وهي تشمل :

أ ـ القدرة العسكرية التقليدية فلا إيران قدرات عسكرية تقليدية قابلة للتطور خاصة مع نجاح إيران بتحديث العناصر الرئيسة في قواتها.

ب ـ القدرة غير المتماثلة الذي قد يسعى للترهيب باستخدام قواه غير تقليدية فهي مزيج من القوى التقليدية والشعبية التي يمكنها التمدد باتجاه جيرانها.

ج ـ قدرات إيران غير المتماثلة تمنحها القدرة على استخدام وكلاء وشركاء في شكل كل من الأطراف التي تتبع لدولة ولاتتبع لدولة، مثل علاقة إيران بحزب الله وعلاقتها مع الفصائل العراقية المقاتلة لداعش.

د ـ نجاح إيران على مستوى البرنامج النووي واحتمالية امتلاكها لصواريخ بعيدة المدى تهدد مصالح الولايات المتحدة وحلفاءها.

هـ ـ إيران تمثل قدرة دينية وإيديولوجية في منطقة وعالم إسلامي يتم الاستقطاب فيه على أسس طائفية.

2 ـ القدرات النووية وهي أهم القدرات غير التقليدية وموضوع بحثنا يتركز عليها:

حيث إن توجه إيران نحو تطوير قدراتها النووية ارتبط بأهداف جيوسياسية، فضلاً عن ذلك أعلنت إيران على لسان رئيسها محمود احمدي نجاد (بأنها لن تتراجع عن حقها في تطوير الطاقة النووية... مضيفاً أن بلاده لم ترتكب أي خطأ عندما قررت استئناف برنامجها النووي)، متهماً الغرب بإتباع معايير مزدوجة في هذا الشأن ومؤكداً في الوقت نفسه (أن بلاده لا تخشى التهديد). وهذا ما دفع إيران إلى تطوير قدراتها النووية والمضي قدماً في برنامجها النووي ونجاحه بانتزاع اعتراف دولي ببرنامجها النووي وهو اتفاق مجموعة الخمسة زائد واحد. وهذا الاتفاق إعادة تعريف الدور الإيراني في المنطقة لمواجهة الصراعات التي من المحتمل أن تجابه إيران مع خروج القوات الأمريكية من أفغانستان وتمدد داعش في العراق وسوريا، إذ إن لإيران أثراً رئيساً في مواجهة داعش وتحديد مستقبل بقائها في العراق وسوريا. وهذا يدفع إيران لتنمية قدراتها لتحقيق جملة أهداف منها:

نجاح إيران على مستوى البرنامج النووي واحتمالية امتلاكها لصواريخ بعيدة المدى تهدد مصالح الولايات المتحدة وحلفاءها

1 ـ محاولة الوصول إلى تحقيق تفوق عسكري لتصبح قوى إقليمية قادرة على التأثير في المنطقة، وفي هذا الصدد يشير افنر كوهين إلى (أن رغبة إيران في أداء دور إقليمي في منطقة الخليج... يعد من أهم وأقوى دوافع سعيها لتطوير قدراتها العسكرية ومحاولة امتلاكها السلاح النووي)[1]، أو بتعبير أكثر دقة القدرات النووية لأن السلاح النووي جزء من هذه القدرات.

2 ـ سعي إيران للحصول على قدرات عسكرية تعزز موقعها كقوة إقليمية من أجل معادلة أو الحصول على تفوق في مجالات معينة لتحجيم القدرات العسكرية التقليدية لتركيا ودول مجلس التعاون العربية، وهذا يعد من أهم مظاهر التخوف والتشكك ويحول دون تعاون دول الخليج العربية مع إيران.

3 ـ إجبار الولايات المتحدة بعدم التفكير على توجيه ضربة عسكرية لإيران والاعتراف بدورها الريادي على الصعيد الإقليمي.

إن سعي إيران لتطوير قدراتها ودخول النادي النووي، يأتي ضمن سعيها لإعادة تعريف دورها الإقليمي، وهو محسوب بذكاء شديد وباحترافية سياسية عالية، فإيران مقابل كل خطوة تخطوها للخلف تتقدم خطوتين للأمام. بمعنى

(1) افنر كوهين، "نحو شرق أوسط جديد: إعادة النظر في المسألة النووية"، سلسلة دراسات عالمية، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد (1)، 1996)، ص14.

إن سعي إيران لتطوير قدراتها ودخول النادي النووي، يأتي ضمن سعيها لإعادة تعريف دورها الإقليمي، وهو محسوب بذكاء شديد وباحترافية سياسية عالية

هي مدركة كيف تبدأ، وكيف تتطور، وكيف تنتهي. هذه هي مرحلة تنامي إمكانات الدولة من القوة بكل ما يصحبها من تغيرات سلوكية تعبر عن هذا التحول الجديد في الطموحات والأهداف والوسائل والآليات، وهو بالضبط ما تمر به إيران الآن. وهذا الأمر يثير مخاوف قوى المنطقة من طبيعة التعريف الجديد للدور الإيراني المبني على الاعتراف الدولي بدخول عضوية النادي النووي، ويزيد من أهمية الاتفاق النووي بالنسبة إلى الدور الإيراني، هي الخاصية التي امتلكها المفاوض الإيراني في المراوغة وإرباك الخصموإفقاده التركيز وتحويل انتباهه، وجعله ينتهي إلى الخيارات التي يخططون لها، حتى وإن كان خصمهم الولايات المتحدة. وإيران تعتمد في ذلك على:

أ ـ آلية توظيف الحليف.

ب ـ المراهنة على الوقت وكسب الجولات بالنقاط وليس بضربة واحدة.

مقابل ذلك الولايات المتحدة تلجأ إلى تحويل المنطقة حزمة واحدة للتفاوض بكل القضايا في المنطقة وجميع الموضوعات، لاختصار الوقت وإثقال الخصم بتشابك الملفات وتعقيداتها حتى يضطر تحت وطأة التفاوض إلى القبول بما تحاول تمريره الولايات المتحدة،وهذا ما فهمته إيران منذ بداية التفاوض، لذلك حرصت على عزل الملفات بعضها عن بعض، وهذا انعكس على أوضاع المنطقة في نتائجه على قوى المنطقة. من حيث النفرة والتقارب.

ثانياً: قوى النفرة

يمكن تعريفها بأنها القوى التي أبدت مخاوف من دخول إيران إلى النادي النووي، وهي تنسق مع الولايات المتحدة وتربطها في بعض الأحيان علاقات تصل إلى حد التحالف: مثل تركيا العضو في حلف شمال الأطلسي، إسرائيل الحليف الاستراتيجي والمرتكز في مشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي أضحت إيران أحد أقطاب توازنه، ودول مجلس التعاون الخليجي.

أما عن تسمية هذه الأطراف بقوى النفرة فهي جميعاً لديها مخاوف من تنامي القدرات الإيرانية. وما يميز قوى النفرة هو الارتباط المركزي بحليف أساسي وهو الولايات المتحدة، المتواجدة قواتها بكثافة في منطقة الخليج بعدها الضامن لأمن نظم الخليج الإقليمي، غير أن اللافت للنظر هو الموقف الأمريكي من تنامي القدرات الإيرانية والتي كان يعلن عنها عبر تصريحات رسمية لقادة إيرانيين. ففي كانون الثاني 1994 صرح الرئيس الإيراني هاشمي رافسنجاني في جامعة طهران قائلاً: (إن الولايات المتحدة الأمريكية قد خسرت المباراة في محاولتها احتواء التعاظم العسكري الإيراني) وقال أيضاً (بأن الخطر قد زال ولم نعد نحتاج عملياً إلى أي شيء يتعلق بالدفاع، ونستطيع الوقوف على إقدامنا بأنفسنا، لقد وصلت إيران إلى مرحلة الاستقرار، ولم يعد في وسعهم إلحاق الضرر بنا)[2]. في هذا الخطاب أشارة واضحة لتنامي القدرات العسكرية لإيران، وكذلك تضمين الخطاب لهدف مركزي اقترن بالثورة الإيرانية وهي مواجهة الولايات المتحدة، وكأن الجمهورية الإسلامية والولايات المتحدة في صراع متعدد،وتدرك الولايات المتحدة والجمهورية بأن التنافس بينهما في المنطقة ليس لعبة صفرية برغم عدم التكافؤ بينهما، لأن هناك أهدافاً مشتركة قد تجمع الخصمين مثل محاربة التطرف في المنطقة. غير أن هناك إدراكاً أمريكياً لما تمثله من تحديات تستطيع أن تلحق الضرر بالمصالح الأمريكية، الأمر الذي يشكل عامل نفرة، وأهم وهذه التحديات كانت تمثل الحاجز الذي حال دون تحجيم القدرات الإيرانية:

التنافس بينهما في المنطقة ليس لعبة صفرية برغم عدم التكافؤ بينهما

(2) نقلاً عن: انتوني كوردزمان، قدرات إيران العسكرية هي مصدر تهديد؟ في إيران والخليج: البحث عن الاستقرار، مصدر سبق ذكره، ص298.

التحدي الأول: مفاده أن إيران قادرة على إلحاق الأذى والضرر بالقوات والقواعد العسكرية الأمريكية في منطقة الخليج العربي بما تملكه من أسئلة متطورة بعيدة المدى.

التحدي الثاني: أن إيران قادرة على إغلاق مضيق هرمز، ومن ثمّ التأثير في صادرات النفط الخليجي التي تمر من خلاله.

التحدي الثالث: أن لدى إيران القوة الكامنة التي تستطيع بها إيذاء إسرائيل في حال أرادت مهاجمتها.

التحدي الرابع: أن دول الخليج العربي ستكون هي المتضرر الأول إذا ما

تعرضت إيران لأي هجوم عسكري من القواعد العسكرية الأمريكية الموجودة بها.

هذه التحديات دفعت إيران على الإصرار في المضي بتنمية قدراتها العسكرية والنووية، حتى تستطيع استخدامها كعنصر ردع ضد أي تهديد أمريكي محتمل، بمعنى أن الهدف من تطوير القدرات الإيرانية النووية وفق تصور الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، هو التفوق على القوى المنافسة. ولا سيّما أن إيران وجدت نفسها بإزاء تحدٍّ كبير وهو: أنها مضطرة لمواجهة قوى التطرف وحدها كدولة، أما الأطراف الإقليمية التي تحظى بعلاقات جيدة مع إيران فهي:

1 ـ العراق الذي كان من الممكن أن يكون حليفاً قوياً لمواجهة الإرهاب، في حال لم يكن نظامه السياسي المؤسس مبتعداً عما أراده الأمريكان.

2 ـ سوريا التي تعاني من الصراع الذي يحدث بفعل الدعم المالي والعسكري من الولايات المتحدة وحلفائها، فضلاً عن محدودية الموارد والإمكانات الاقتصادية لها.

وهنا يبرز لنا دور قوى النفرة بقيادة الولايات المتحدة[3] في أن تجعل إيران مكشوفة أولاً، وتضخيم من حجم قدرتها حتى تجعل منها الدولة التي تهدد أمن المنطقة ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة مما يفرض عليها التصدي لإيران من ناحية ثانية. وثالثاً امتداد الصراع ما بين الطرفين إلى أجزاء متعددة من المنطقة، بدءاً من سوريا إلى العراق ومن ثم في اليمن فضلاً عن الموقف الإيراني الداعم للقضية الفلسطينية.

(3) جفري أرونسون: إسرائيل والانعكاسات الإستراتيجية لاحتمال امتلاك إيران أسلحة نووية، من كتاب: البرنامج النووي الإيراني الوقائع والتداعيات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،ط1، أبو ظبي،2007، ص101.

هناك إشكالية تعد الشاخص الأكبر الماثل بإزاء الولايات المتحدة وقوى النفرة، بخصوص تضخيم القدرة الإيرانية والسعي لاستنزافها عبر عسكرة الصراعات وهو: استخدام إيران لبطاقة التضامن الشيعي في إطار سعيها للمحافظة على استقرار محيطها الإقليمي، إذ ليس لإيران مصلحة في سيطرة المجاميع المتطرفة على الحكم في دول جوارها مثلما حصل في أفغانستان أبان حكم طالبان. لذلك نجد أن دعم إيران لكل القوى المعارضة للتطرف مرتكزة في ذلك على التضامن الشيعي.

وهنا يبرز لنا تساؤل هل إن المدرك الإيراني سيدفعها إلى تحمل تبعات

التضامن الشيعي الذي من الممكن أن تهدد المشروع الوطني الإيراني،أوإن هناك حدوداً سيتوقف عندها الدعم؟ التحدي الأكبر لدعم التضامن الشيعي الذي تتبناه إيران هو التأثير في توجهات المنطقة الإقليمية، إذ تنظر إيران للمنطقة الإقليمية المحيطة بها، على أنها مفترق للصراع مع التيارات الأصولية المدعية للإسلام. وبرغم المخاوف التي تثيرها هذه التيارات، إلا أن إيران لاتريد الاشتباك مع الفكر التقليدي الذي ولدت من رحمه هذه التيارات. وهذا يخالف إلى ما تسعى إيران التأسيس له وهو:توازن استراتيجي بعيد عن تدخل الولايات المتحدة. بحيث تكون إيران هي الشريك الأساسي فيه.

ومن الجدير بالذكر أن إيران تعد من أبرع لاعبي إقليم الشرق الأوسط، نظراً لما تتضمنه سياساتها من مزيج من البراغماتية والعقلانية المغمسة بأهداف مشروع الثورة الإسلامية، وعليه فإن الآثار التي أفرزتها نجاحات إيران على الولايات المتحدة تمثلت في:

1 ـ تحقيق توازن استراتيجي في منطقة حيوية يتمدد فيها النفوذ الأمريكي، فتوازن القوى في هذه المنطقة المهمة والحيوية من العالم مطلوب ومعناه: (الحالة التي تعمل فيها الأطراف بحيث يتعذر عليهم في ظلها اللجوء إلى استخدام القوة لفض المنازعات، وإذا ما اضطرت إلى ذلك يكون القتال في أضيق الحدود، وإذا ما تحقق التعادل في التوازن غالباً ما يتحقق الاستقرار، إذا ما غلبت جميع الأطراف جانب العقل في حساباتها، ويصبح الاستقرار عبارة عن القدرة على السيطرة على الأحداث)[4].

2 ـ الاهتمام بحسابات البيئة الدولية التي أفضت إلى التفرد الأمريكية وإيجاد حاجة ضرورية لأهمية تنمية القدرات النووية الإيرانية،التي اكتسب هذا القدر الكبير من قوة الدفع بسبب من التحولات التي شهدتها البيئة الدولية والإقليمية بعد عام 2003، والتي انعكست بشكل ايجابي على برامج التسلح الإيرانية بصفة عامة والنووية بصفة خاصة.

3 ـ محاربة داعش وحل الأزمة عبر الاعتراف بالدور الإيراني: وعند البحث في قوى النفرة نلحظ أن هناك تقاطعاً في الأهداف مع إيران،وهذا التقاطع لايقتصر على الولايات المتحدة، فمثلاً تدرك الإدارة التركية حقيقة تداخل الأدوار التي تسعى لتحقيقها على المستوى الخارجي، وترابطها بناءً على

(4) ويلفردبوختا: من يحكم إيران بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، 2003، ص71.

أهمية المناطق وحلفاؤها في المنطقة، لتوسيع نطاق دورها الإقليمي الذي لا بد أن يتقاطع مع الدور الإيراني في بعض وهي:

أ ـ تجنب الإسلام الراديكالي الثوري الذي سيمنح إيران مسوغاً لمد نفوذها على صعيد الشرق الأوسط.

ب ـ حل القضية الكردية، إذ لم تستطع تركيا أن تسيطر على الأكراد المطالبين باستقلال الجنوب مع المشكلات السياسية، وتعتقد تركيا أن توقيع اتفاقية مشتركة مع إيران والعراق وسوريا سوف ينهي هذه الأزمة.

ت ـ تسعى تركيا لأن يكون لها أثر كبير في النظام الأمني للشرق الأوسط ببعده الأطلسي.

4 ـ الإدراك التركي بأن نجاح إيران بتوقيع الاتفاق النووي، من شأنه أن يمنحها تفوقاً إقليمياً في بعديه السياسي والعسكري، لأن حزب العدالة والتنمية يسعى لتغيير الإستراتيجية العسكرية عبر خفض العدد للقوات العسكرية ورفع جاهزية القوات عبر التقنيات الحديثة، لمواجهة نتاجات الملف النووي الإيراني التي من شأنها تغير موازين القوى التقليدية في المنطقة.

الإدراك التركي بأن نجاح إيران بتوقيع الاتفاق النووي، من شأنه أن يمنحها تفوقاً إقليمياً في بعديه السياسي والعسكري

5 ـ سعي تركيا لحيازة مقبولية مجتمعية مشابهة لتلك التي تحوزها إيران، لتنتقل تركيا من دور الوكيل الإقليمي الكبير إلى صاحبة الدور الإقليمي الأصيل، وهو هدف التخطيط الاستراتيجي الذي يحاول حزب العدالة والتنمية التأسيس له، وهذا ما يجعل الدور التركي يتطلب التعاون مع وكيل عربي إسلامي، يستشعر الخطر الإيراني نفسه ويقترب من مذهبية الأغلبية المجتمعية السائدة في تركيا. وهنا لابد من التنسيق بين تركيا والسعودية ـ (برغم الاختلاف بشأن الإخوان المسلمين) ـ لمواجهة التحدي نفسهوالمتمثل بتنامي القدرات غير التقليدية لإيران.

6 ـ تهدف تركيا إلى تأسيس شراكات اقتصادية لموازنة النفوذ الإيراني في المنطقة، مندون التقاطع معه، والدليل على ذلك مشروع تزويد تركيا بالغاز الإيراني، وهي في هذا تقترب من إيران في استغلال الفرص المتاحة.

وتقترب أهداف إسرائيل من أهداف تركيا خاصة، فيما يتعلق بتمدد النفوذ الإيراني وذلك يعود إلى جملة أسباب وهي:[5]

(5) جفري أرونسون: إسرائيل والانعكاسات الإستراتيجية لاحتمال امتلاك إيران أسلحة نووية، ص99.

أ ـ أن إيران حليف لدولتين هما الأهم في التفكير الاستراتيجي لإسرائيل، وهما سوريا ـ العراق ضمن محور واحد لاتجزئه إسرائيل. وتوقيع الاتفاق النووي معناها منح هذين الدولتين زخم معنوي لتحالفهم مع إيران.

ب ـ مواجهة الإسلام الراديكالي الثوري الذي مثلته الثورة الإسلامية في إيران.

ت ـ الإدراك الإسرائيلي بأن الدور الإقليمي الذي تمارسه الولايات المتحدة سيفرض عليها القبول بشريك إقليمي، حتى لو رفضته الولايات المتحدة، لكن ضرورات الأوضاع ومحاربة التنظيمات المتطرفة تفرض على الولايات المتحدة ذلك[6].

(6) راجع تريتا بارزي: حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة أمين الايوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، بيروت 2008، ص152.

ث ـ سيكون هناك توازن للردع من بين إسرائيل وإيران بعدما كانت تتمتع به وحدها.

ج ـ تنامي محور المقاومة الذي تدعمه إيران ضد إسرائيل. إلى الحد الذي فرض فيه حزب الله في لبنان توازناً للردع مع إسرائيل، وهو حزب تظل قوته أقل من قدرات دولة من مثل إيران.

ح ـ التفوق الذي ستضمنه إيران، لأنها تمتلك المقبولية التي تفتقر لها إسرائيل، وهذا يفسر لماذا إسرائيل لا تخشى التيارات المتطرفة على حدودها لكنها تخشى من الاتفاق النووي الإيراني.

إن التهديد الأكبر الذي تواجه دول النفرة من الاتفاق النووي الإيراني، هو خشية دول مجلس التعاون من التمدد الإيراني عبر الوكلاء الإقليمين أو عبر الأقليات المجتمعية، وهو ما يعني امتلاك إيران لأوراق ضغط على هذه الدول، أضف إلى ذلك أن إيران لديها القدرة العسكرية على غلق مضيق هرمز وقطع الصادرات النفطية ولا سيّما أن أغلب دول مجلس التعاون دول ريعية تعتمد بدرجة أساسية على الصادرات النفطية. هذا في حال وجود قوة تقليدية يمكن أن تردعها الولايات المتحدة وتأمين مضيق هرمز، لكن ما تعجز الولايات المتحدة عن ردعه بدرجة أوأخرى، هو تنامي القدرات النووية لإيران واعتراف الولايات المتحدة بهذه القدرات عبر الاتفاق النووي، بمعنى أن

أن إيران لديها القدرة العسكرية على غلق مضيق هرمز وقطع الصادرات النفطية ولا سيّما أن أغلب دول مجلس التعاون دول ريعية تعتمد بدرجة أساسية على الصادرات النفطية

أن الولايات المتحدة الحليف الأساسي لدول مجلس التعاون الخليجية أصبحتأمام تحدٍّ لقوى إقليمية غير تقليدية

الولايات المتحدة الحليف الأساسي لدول مجلس التعاون الخليجية أصبحت أمام تحدٍّ لقوى إقليمية غير تقليدية، وإن نجحت الولايات المتحدة بتهديدها بما تمتلكه من تفوق في القدرات، فإنها لاتستطيع احتواء تهديدها المجتمعي عبر التحرك الإيراني على الأقليات المجتمعية.

هذا الأمر دفع دول مجلس التعاون الخليجية التحرك بصورة جمعية تحت قيادة السعودية لمواجهة التمدد الإيراني عبر هذه الأقليات، وقد نجحت هذه الدول إلى الآن في هجومها على اليمن من الناحية العسكرية، لكن الأثر السياسي على هذه الدول سيكون سلبياً، لأن الحملة العسكرية على اليمن زادة من حدة العداء المجتمعي داخل هذه الدول وعززه موقف إيران حيال هذه الأقليات، ومن ثمّ فإن هذه الدول ستجد نفسها بإزاء بدائل محدودة في التعامل مع أمن الخليج[7]:

البديل الأول: استمرار السياسات الأمنية لدول مجلس التعاون بصيغتها الحالية المعتمدة على الأسلوب الجمعي الذي تدعمه الولايات المتحدة، مع وجود تهديدات مجتمعية داخلية يمكن أن تهدد استقرار هذه الدول بسبب غياب العدالة الاجتماعية.

البديل الثاني: القبول بالخيار الثاني وهو نظام أمن خليجي مشترك تسهم فيه إيران، وهذا سيلحق دول مجلس التعاون من موقع أدنى.

البديل الثالث: الاعتماد على القدرات الذاتية وتوظيف الأسئلة المتقدمة التي تمتلكها هذه الدول، وإشراكا لأقليات المجتمعية التي يخشى من تمدد إيران حيالها، لكن هكذا نظام يحتاج إلى إشراك مجاورات الخليج العراق واليمن.

لهذا نجد أن دول الخليج العربية لجأت إلى أسلوب الحوار مع إيران، خوفاً من النتائج الكارثية لأي عمل عسكري أمريكي ضد إيران، سواء على المستوى الداخلي أو الإقليمي، فضلاً عن اعتماد أسلوب التهدئة معها تفادياً للوقوع في دائرة الانتقام الإيراني، في حال حدوث مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية[8].

وعلى الرغم من ذلك يمكننا القول: إن دول الخليج العربي قد توصلت إلى

(7) راجع جميس نويز: البرنامج النووي الإيراني وتأثيره في أمن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، من كتاب: البرنامج النووي الإيراني الوقائع والتداعيات، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،ط1، أبو ظبي، 2007، ص 80.

(8) عبد الرحمن بن حمد العطية: معضلات الأمن في منطقة الخليج العربي، من كتاب النظام الأمني في منطقة الخليج العربي: التحديات الداخلية والخارجية، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1،أبو ظبي، 2008، 24.

حقيقة مفادها،أنها لا تستطيع تجاهل دور إيران المتنامي في أي ترتيبات سياسية أو اقتصادية وحتى أمنية خاصة، وأنها بلغت في مجال بناء القدرات بما فيها النووية إلى مرحلة متقدمة، ومن ثم فهي اللاعب الأول في المنطقة الذي قد يهدد الشرق الأوسط برمته في أتُّون حرب رابعة إذا ما جرى مهاجمة منشآته النووية.

ثالثاً: قوى التقارب

ترتبطأغلب قوى التقارب مع إيران بتحالفات وهي تحظى بدعم إيران خاصة على صعيد محاربة التطرف في المنطقة، وأن نجاح إيران بدخول النادي النووي سيزيد من فرصها في مواجهة التطرف عبر زيادة الزخم المعنوي والمادي الذي تقدمه إيران لهذه الدول في مواجهة التطرف،خاصة العراق وسوريا. العراق لازال دولة في طور تشكيل أغلبية سياسية، ومحكوم بتوافقية جعلت أداء النظام السياسي يبدو ضعيفاً. ولا سيّما أن العزلة الإقليمية التي أدخلت الولايات المتحدة العراق فيها بعد عام 2003، جعلت صانع القرار يعاني من انعدام البدائل الإقليمية والدولية في التحالف،عدا ما يأتي من الولايات المتحدة التي ضربت حول العراق طوقاً من العزلة العربية،لا يكسره إلا منفذ إقليمي واحد وهو إيران. وهي الدولة الوحيدة التي أثبتت دعمها في النطاق الإقليمي للعراق في حربه ضد الإرهاب.الذي أصبحأخطر تهديد عصف بالنظام الدولي منذ تشكيله إلى الوقت الحالي، إذ أصبح المطية التي بها تستطيع الولايات المتحدة أن تغير الخارطة السياسية لأية منطقة بالعالم، وأبرز دليل هو ما شهدته مصر وسوريا وليبيا والعراق الذي عادت له الولايات المتحدة عبر تهديد الإرهاب، لتعلن أن قرار انسحابها من العراق كان متسرعاً، وكأنها بذلك تنفي عن نفسها قصورها في تنفيذ اتفاقية الإطار الاستراتيجي بينها وبين العراق عام 2008.

إن دول الخليج العربي قد توصلت إلى حقيقة مفادها،أنها لا تستطيع تجاهل دور إيران المتنامي في أي ترتيبات سياسية أو اقتصادية وحتى أمنية خاصة، وأنها بلغت في مجال بناء القدرات بما فيها النووية إلى مرحلة متقدمة

أما سوريا فقد مثلت المعركة على أرضها صراع أرادات حقيقي بين القوى الإقليمية التي تسعى للمحافظة على السلام، وبين قوى الإرهاب الساعية لتغير خارطة المنطقة، عبر تشظيها إلى دويلات تحمل مسميات (إسلاموية) وبإمرة شخوص يرفضون الأخر مهما كان.والتي تنتمي إلى تيارات فكرية

تهدد حتى الحواضن التي تفرعت عنها مثل داعش، ليضع العراق في مواجهة مباشرة بإزاء تمدد داعش، جنباً إلى جنب مع سوريا التي تعد من دول التقارب مع إيران، لتمتلك إيران بذلك امتداداً يمتاز بعمقه الاستراتيجي من القبول الشعبي يتصل بسواحل البحر المتوسط، ليشكل بذلك طوق من دول الممانعة الرافضة للتفرد الأمريكي ولإستراتيجيتها وسياسات حلفائها. حيث تلتقي إيران على سواحل البحر المتوسط بالقاعدة الروسية الوحيدة في المياه الدافئة في طرطوس.

كسب روسيا حليفاً مثل إيران يستطيع تحجيم شيء من النفوذ التركي في آسيا الوسطى

وهنا يتضح لنا أهمية الدعم الروسي للموقف الإيراني في مفاوضات الخمسة زائد واحد،إذ تكسب بذلك روسيا قوة غير تقليدية متمثلة بإيران على حدود أفغانستان، حيث التواجد الأمريكي وعلى حدود العراق حيث التواجد الأمريكي أيضاً. أضف إلى ذلك كسب روسيا حليفاً مثل إيران يستطيع تحجيم شيء من النفوذ التركي في آسيا الوسطى، وهذا يفسر لنا في جزء مهم المكسب الذي جنته إيران من اتفاق الملف النووي، إذ أصبح هناك تنسيق مهم يمتد من روسيا إلى حدود الخليج العربي من جهة الجنوب، وحدود المتوسط من جهة الشمال، ليوازن النفوذ الأمريكي في المنطقة ويمنح إيران دور متميز في التوازنات الأمنية التي ستحكم منطقة الشرق الأوسط.

رابعاً: رؤية مستقبلية

إن الدور المستقبلي لإيران في الشرق الأوسط، سوف يكون حبيس الردع بين القوى الأساسية في المنطقة،وبذلك سوف تكون هذه القوى محمية من أي صراع ينشب في المستقبل، لذا فإن الصراع سوف يكون على مناطق النفوذ وبسط الإرادة. والتنافس على المكاسب الاقتصادية، إذ إن التداعيات الأهمفي الشرق الأوسط تتمثل بالنظرة الأميركية الجديدة للأمن في المنطقة، القائمة على جعل ثمن أي تهديد لأمن المنطقة مكلفاً اقتصادياً، نتيجة الاعتمادية المتبادلة التي تحاول الولايات المتحدة التأسيس لها عبر مشروع الشرق الأوسط الكبير. فضلاً عن الهدف الأمنيالأول حماية (إسرائيل)، فإن التهديد المباشر للأخيرة يأتي من إيران. وهذا يعنيأن إيران تمثل العقبة الأكبر أمام إتمام تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، لا سيّما في آليته

أن إيران تمثل العقبة الأكبر أمام إتمام تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، لا سيّما في آليته الرئيسة الاعتمادية المتبادلة

الرئيسة الاعتمادية المتبادلة. وعلى وفق ذلك تمثّل إيران والحركات الشعبية المقاومة التحدي لمشاريع للولايات المتحدة في المنطقة وبالعكس، وما ينتج عن تغيرات في المنطقة يظل رهناً بالاتجاهات التي تعتمدها قوى النفرة والتقارب. وهناك حقيقة مهمة لايمكن إنكارها تؤثر في استثمار الطرفين للتغيرات في المنطقة العربية مفادها:

وهذه الأسباب دفعت الولايات المتحدة للاتفاق مع إيران بخصوص الملف النووي، فضلاً عن أسباب أخرى تمثل مخاوف أمريكية مستقبلية منها:

1 ـ أن التيار الإسلامي تيار كبير داخل المد الشعبي الداعي للتغيير في المنطقة العربية، ومن المعروف أن التيارات الإسلامية بصرف النظر عن توجهاتها قريبة من إيرانلكونها جمهورية إسلامية.

2 ـ أن الحركات الإسلامية الممثلة للتيار الإسلامي تعد من أقوى الحركات السياسية تنظيماً حالياً في المنطقة العربية، وسيكون هذا خطراً كبيراً على المصالح الأمريكية إذا ما أصبحت إيران دولة قائدة في المنطقة.

3 ـ أن شعوب المنطقة مع إقرارها بدور الولايات المتحدة في التغيرات الحالية، لن تسلم بالتبعية للولايات المتحدة في كل ماتريده الأخيرة منها.

4 ـ أن إيران دولة إقليمية تمتلك القدرة للتأثير في التغيرات الحالية في المنطقة العربية لحماية مصالحها، ولكن حدود هذه القدرة مفتوحة على مداها لتنتقل إلى التأثير في البعدينالإقليمي والعالمي.

ولمواجهة هذه المعطيات التي تعمل لصالح إيران، تعمل الولايات المتحدة وقوى النفرة على تحديد الدور الإيراني في المنطقة وذلك عن طريق:

1 ـ العمل على إضعاف دور الحركات الإسلامية المقاومة في البلدان العربية.

2 ـ تصعيد الضغوط على إيران فيما يخص ملفات حقوق الإنسان.

3 ـ دعم الولايات المتحدة لدور تركيا على حساب الدور الإيراني.

إن هذه التحديات المتبادلة بين الولايات المتحدة وإيران، توضح أن البلدين يواجهان خيارات متناقضة، مع الإقرار بحقيقة أن التنافس بين قوة عالمية متمثلة بالولايات المتحدة وقوة إقليمية متمثلة بإيران، هو فارق له أهميته، فالأدوات التي لدى الولايات المتحدة كقوة عالمية تمكنها من تجاوز التحديات التي تواجهها بمفردها،على حين أن الأدوات التي لدى إيران تحتاج إلى التنسيق مع الآخرين سواء أكانوا دولاً أم حركات، كحزب الله في لبنان وحماس في فلسطين وقوى المقاومة الإسلامية العراقية.